

# المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب

د- عبد الرحمن أيوب

يكتب عن الظواهر اللغوية العامة وعن المبادئ التي ينبغي أن يلتزمها الباحث اللغوي .

ولا يملك التأمل في كتب اللغة العربية القديمة الا ان يعتقد بوجود مبادئ عامة سار عليها البحث اللغوي العربي . وقد لاتجد كتابا اخذ على نفسه حصر هذه المبادئ ولكنها لا شك تستطيع من خلال النهج الذي سار عليه المؤلفون ومن خلال التعليقات والتعليقات التي يذكرونها ان نعرف هذه المبادئ التي اثرت في توجيه بحوثهم وجهة او اخرى .

وسأحاول في هذا البحث القصير ان التمس بعض هذه المبادئ وأن أقارنها بما يناظر من المبادئ الحديثة في التحليل اللغوي .

## (1) الشكل والمضمون :

اللغة في نظر المحدثين نشاط مركب من عناصر عنصر الشكل وهو الصورة المادية التي تتألف بهما الاصوات في كلمات او جمل وعنصر المضمون وهو المفهوم العقلي الذي يثيره في ذهن السامع نشاط المتكلم اللغوی .

من الواضح ان التحليل العلمي ل مختلف الظواهر المادية والعقلية يعتمد على مجموعة من المفهومات الأساسية التي تختلف باختلاف نوع الظواهر التي تدرس . فالمفهومات التي يعتمد عليها علم مجرد كالمنطق والرياضيات تختلف عن المفهومات التي يعتمد عليها علم تجريبي او علم انساني .

وعلم اللغة من العلوم الإنسانية التي يعالج ظواهر تخصيص أحيانا للقوانين الطبيعية الثابتة وتخصيص أحيانا اخري للارادة الإنسانية التي تتقبل التغيير دون مبرر سوى رغبة فرد او جماعة في تغيير سلوكهم .

ورغم ما يحاوله البعض من الكشف عن مبادئ عامة للبحث اللغوي ومن ابتكار مفهومات يصلح تطبيقها على مختلف اللغات ، فان لكل لغة خصائص تفرد بها عن سواها مما يفرض على الباحث تعديل هذه المبادئ العامة بحيث تتناسب مع اللغة المعينة التي يتم بدراستها .

والدراسة اللغوية العربية دراسة قديمة تسبق الدراسة المنهجية الحديثة بقرن عديدة . ومن ثم فمن المقالة ان نتوقع ان نجد من بين اللغويين العرب من

ومن الطبيعي أن يقع المؤلفون الأوائل في محظوظ الخلط بين الشكل والمضمون حين اخْفَوا الدلالة أساسا للتحليل اللغوي وإن يؤدِّي بهم هذا الخلط إلى متناقضات لاحظها اللغويون المحدثون، ونددوا بها ، ورغبة منهم في تقادِي ما وقع فيه الاتضاعون من أخطاء فقد أصر المحدثون على العزل بين المتصرين ودراسة كل منها على حدة دون تأثير بالعنصر الآخر . وبالتالي فقد قاتمت

مدرسة تعرف بمدرسة التحليل الشكلي Formal Analysis وهي تقرر أن تركيب الكلمة أو الجملة عملية ميكانيكية يمكن أن تدرس وجدها بعيداً عن المعنى المفهوم منها ، وأنه بعد اتمام هذه الدراسة الشكليّة يمكن أن يدرس ارتباط كل تركيب بمفهوم معين .

ظل هذا الاتجاه سائداً حتى أوائل النصف الثاني من هذا القرن حيث نشأت نظرية أخرى تعرف باسم Transformation Theory وهي تعتمد في التحليل اللغوي على المفهوم باعتباره الأساس النفسي للتركيب اللغوي .

ومن ثم فاتحها تقول بوجود نوعين من التركيب، التركيب الخارجي Surface Structure والتركيب الداخلي Deep Structure الأول منها في نظر هذه المدرسة نتيجة نحصل عليها من إجراء عمليات معينة على التركيب الداخلي . وقد لاحظ زعيم هذه المدرسة نابوم تشومسكي Chomsky أن بعض التركيبات اللغوية تنفي إلى لبس الدلالة لا تكتفي الدراسة الشكليّة من التخلص منه ويمثلوا لذلك بالمثاليين *He is eager to please* هو حريص على أن يجامِل و *He is easy to please* هو من السهل أن يجامِل . والجملتان كما هو ظاهر مختلفتان شكلياً في كل شيء فيما عدا كلمة *eager* في الأولى و *easy* في الثانية :

ولما كانت المدرسة الشكليّة تقرر أن العلاقات النحوية علاقات بين أنواع الكلمات لا بين ذواتها ، ولما كانت كل من *easy* و *eager* من نفس النوع (الوصف) فإنه طبقاً لنطاق المدرسة الشكليّة يتحتم أن تكون العلاقات النحوية في كلتا الجملتين واحدة . وهذا غير الواقع لأن المصدر المؤول « *to please* » يتعلق بفاعل الجملة الأولى « *He* » تعلق المبني للمعلوم مع المسند إليه بينما يتعلق به في الجملة الثانية تعلق المبني للمجهول . ومن أجل هذا فإن الطريقة الوحيدة لبيان هذا الفرق لا تتضمن التحليل بواسطة المكونات

(ic) **immediate constituents**  
المباشرة التي تناهى بها الطريقة الشكليّة بل بالقول بأن كلاً من الجملتين رغم اتفاقهما التام في التركيب الخارجي يختلفان اختلافاً أساسياً في التركيب الداخلي . فالجملة الأولى تتكون من جملتين هما ( هو حريص ) و ( هو يجامِل ) أما الثانية فتتكون من ( هو سهل ) و ( هو يجامِل ) .

التفسير بكل بساطة بلغة النحو العربي على النحو الآتي في الوقت الذي تؤول فيه الجملة الأولى بالجملة « هو حريص على أن يجامِل الناس » فإن الجملة الثانية يُؤول بالجملة « من السهل على أي شخص أن يجامِله » .

وهكذا نرى أن الطريقة التحويلية هي في صميمها عملية التأويل التي تتألَّب بها النحو العربي وأن عملية التأويل شأنها في ذلك شأن النظرية التحويلية تعتمد على المستوى الدلالي للعبارة حيث أنها في النهاية تعتمد على المطلول الذي بينه المؤول به في توضيح التركيب الخارجي للجملة . وأدنى ما يأساس المزدوج الذي يقول به النحو العربي ( أي التعبير والتأويل ) هو نفس الأساس المزدوج الذي تناهى به المدرسة التحويلية ، التركيب الخارجي والتركيب الداخلي . كما أن الجانب النظري لكل من الاتجاهين واحد وهو الاستعانت بالمعنى في تفسير التركيب الخارجي للعبارة .

بقى عنصر آخر تقول به المدرسة التحويلية وهو « القواعد التحويلية » ولم يهتم العرب اهتماماً كبيراً بمثل هذه القواعد بالنسبة للتحليل النحووي ولكنهم ابتدعوا نظماً غنية من القواعد التحويلية في علم الصرف . وباب الأفعال والإبدال ليس في حقيقة أمره إلا مجموعة من القواعد التحويلية كما نرى في المثال التالي .

نلاحظ الارتباط الشكلي والدلالي في الإلفاظ « قال ، يقول قائل ، قيل الخبر » . إذ نلاحظ وجود عنصر متغير وعناصر ثابتة في كل من هذه الإلفاظ ، أما العناصر الثابتة فهي « القاف واللام » وأما العنصر المتغير فهو الفتحة في « قال » وهي تقابل الضمة في « تقول » والمهمزة في « قائل » والكسرة في « قيل » . والسؤال الآن هو أي هذه الاحتمالات الإربعة يعتبر أصلاً تكون الاحتمالات الأخرى صوراً له . قال الصوفيون بأن الواو ( التي

بين الامرين هو ان التأويل مبني على أساس الدلالة اما التواعد الصرفية فانها عملية تجريد لوحدة صرفية معينة من امثلة واقعية وهذه العملية تعتمد اطلاقا على عنصر المعنى وان كانت تستعين به في حصر الكلمات التي تنتمي الى مادة واحدة .

## (2) الوحدة الصوتية والحرف :

الصوت اللغوی هو مجموعة من الصفات الصوتية تعتبر جزءا واحدا من الاجزاء الفن تكون الحدث اللغوی، كالكاف من « ركب » ، وهى تتكون من صفات تسمى الانفجار والهiss والرخاوة . ويدرك أبناء اللغة بنظرتهم — وان كان هناك من علماء الاوصوات من يشك في ذلك — وحدة هذه الصفات بحيث تكون الكل الذي نسميه صوت الكاف . ولكن هذه الصفات قد تزيد او تنقص تبعا للظروف التي يوجد فيها الصوت ، ففي المثال « كتب » نقصت من هذه الصفات صفة الاتحباس وفي المثال « لك » وجد الاتحباس ولم يوجد الانفجار . ومعنى هذا بالضرورة ان يكون لدينا في الامثلة الثلاثة السابقة ثلاث كائنات لا كاف واحدة هي ثلاثة انواع من الكاف ، « الكاف المتفجرة والكاف المنحبسة والكاف المتفجرة المنحبسة » او بعبارة اخرى فان الحرف الذي نسميه كافا يعني كاما كلية تندرج تحتها افراد ثلاثة من الكائنات . والكاف الكلية هذه هي الوحدة الصوتية او الصوتيم (Phoneme) وهي امر اعتبارى يتدرج تحته افراد واقعية يسمى كل منها صوتا (Phone).

ولم يفرق العرب بين الصوتيم والصوت تفريقا نظريا واضحا كما فعل المحدثون ولكن ما كتبوه في وصف الاوصوات بين بوضوح ادراكمهم لهذه النظرية .

وقد استعمل سيبويه لفظ ( حرف ) للمعنى العام الذى يعرف بالصوتيم او الوحدة الصوتية ثم ذكر ان هناك حرف اصليا وفرعيا له . ومثل ذلك بالالف والالف المالة والفتح والتخفيم وبالضاد والمصاد الضعيف وبالنون والنون الخفيفة . . . الخ .

واتجاه سيبويه هذا يذكرنا بتعریف دانيال جونز للصوتيم بأنه عائلة من الاوصوات يعتبر احدهما اصلا والباقي فرعيا له .

ولن ادخل الان في الجدل الذى نشبت بين اللغويين Phoneme theory المحدثين حول نظرية الصوتيم

تمثلها الفضة الطويلة في يقول ( او التركيب الداخلي لها ) هو « قول » وأصل يقول هو « يقول » وأصل قائل هو « تأول » ثم وضموا ملقة من التواعد المطردة لتحويل الواو في الامثلة كلها الى الصورة التي تبدو عليها واقعيا في المثال . اي انهم في واقع الامر قد قالوا بنفس الامور الثلاثة التي تتول بها المدرسة التحويلية وهي التركيب الخارجي (الللغظ) والتركيب الداخلي ( التأويل ) والقواعد التحويلية ( تواعد الاعلال في هذه الحالة ) .

وقد امتازت المدرسة العربية على المدرسة التحويلية في هذا المجال بميزة هامة ذلك ان المدرسة التحويلية تضع قاعدة لتحويل مثال بعينه وبالذات فانها من باب التقسيم لا التعقيد . اما القاعدة الصرفية ( اي القاعدة التحويلية ) عند العرب فانها قاعدة تركيبية عامة لا تنسى لفظا بعينه بل تعمل في كل الظروف التي تتطبق على القاعدة . وهذا هو بحق ما يمكن أن يسمى بالتعقيد . اما التواعد التحويلية التي يقول بها تشومسكي وأتباعه فهي كما قلنا ليست تواعد بل مجرد تقسيم تحليلى لاحتمالين عقليين في فهم عبارة معينة . وعلى سبيل المثال نجد ان القاعدة العربية « اذا تحركت الواو وسبقت بالفتحة قلب ( او تحولت ) الفا » تتطبيق على التركيب الداخلي ( التأويل ) « قول » الذي يصيغ تركيبا خارجيا هو « قال » . كما سنجد منطبقا على التركيب « قوم » الذي يصيغ بناء على نفس القاعدة « قام » . اما القاعدة التحويلية الاخرى وهي « اذا وقعت الواو مضمومة حذفت ضممتها للثقل وصارت الواو ضمة طويلة » فاننا نجدتها تتطبيق على « يقول » التي تصيغ بناء عليها الى « يقول » وعلى « مقول » التي تصيغ بناء على القاعدة نفسها الى « مقول » اما التواعد التحويلية التي قال بها تشومسكي فانها تواعد لا تتطبيق على اطلاقها بل في نطاق مثال معين تدعي على لفظ او تركيب يمكن ان يكون مزدوج العلاقة .

لست الان في مجال الرد على المدرسة التحويلية ولا على المدرسة التقليدية العربية في اتخاذ المعنى أساسا للتبويب النحوى . ولكن ينبغي علي الان ان اعترف بانى اوافق النحاة كل الموارنة على قواعدهم التحويلية الصرفية بينما اختلف معهم كما اختلف مع المدرسة التحويلية فيما يتعلق بالقواعد التحويلية النحوية ( اي التأويل ) والفرق

عندها تكون جزئية التخلی هذه فتحة او كسرة او ضمة . والشكل الذي تتخذه جزئية التخلی هو ما تسميه مدرسة التحليل الطيفي باسم « Cue » وصنيع العرب في هذا المجال يذكرنا بالكتابة الإثيوبيّة التي لا تكتفى بصورة كتابية للساكن بل تضع صورة للساكن محركاً بحركة ما تختلف عن الصورة التي تضعها لنفس الساكن عندها يكون محركاً بحركة أخرى ملابأء - على فرض أن النظام الصوتي في الامهريّة هو نفس النظام الصوتي العربي - تكتب على اربعة اشكال مختلفة ، شكل عندما تكون ساكنة وآخر عندما تكون مفتوحة وثالث عندما تكون مضمومة ورابع عندما تكون مكسورة . وهذا النوع من الكتابة هو ما يعرف باسم الكتابة المقطعيّة ، وتعتبر الكتابة العربيّة خطوة إلى الإمام حيث جعلت للمصوتيّم رسماً الموحد رغم اختلاف حركته . ولكنها اعتبرت الحركة شكلاً من الاشكال الذي يبدو عليها الصوتيّم وليس صوتيّماً آخر .

ويظهر لنا أن تركيبات اللغة العربيّة ذاتها تساعد على هذا الاتجاه وذلك للأسباب الآتية :

1 - الحركات في العربية لا تزيد عن اربعة هي : عدم وجود حركة ( سكون ) وفتحة وضمة وكسرة . وبذلك فإن مجال الخلط بينها ليس واسعاً كما هو في الانجليزية والصومالية التي تزيد عدد الحركات في كل منها عن عشرين حركة .

2 - تحدد الأوزان الصرفية نوع الحركة بعد كل ساكن من مواد الكلمة فاسم الفاعل من الثلاثي دائمًا مفتوح الأول ( فتحة طويلة ) مكسور الثاني . والفعل الماضي والمضارع المبنيان للملعون مفتوحاً الأول دائمًا ولا يخرجان عن هذه القاعدة إلا في حدود قواعد أخرى كريادة المهمزة على المادة في مثل « أخرج » التي تتطلب ضم أول المضارع وكالبناء للمجهول الذي يتطلب طريقة أخرى من تحريك السواكن الخ .

3 - تتكلّل القواعد الاعرابية بتحديد حركة أو آخر الكلمات . من أجل هذا لم تجد الكتابة العربيّة في أول أمرها حاجة إلى وضع رموز خاصة بالحركات ، اكتفاء بالقواعد التركيبية في مستوى الصرف والنحو التي تحدد نوع الحركات إلى حد كبير .

صحيح أن هذا يعني أن الكتابة العربيّة تعتمد على توأمة اللغة الصرفية وال نحوية وهذا واضح في نزعه توأمة الاملاء إلى أن تعتمد على القواعد الصرفية .

ولتكن أكثى بالقول بأنهم قرروا ضرورة تحديد الظروف الكلامية التي يوجد فيها كل من أفراد المصوتيّم ولا يمكن أن يوجد فيها سواه . وفي باب الإدغام في العربية مثال لتوزيع أنواع حرف ما ( او الأصوات التي تدرج تحت وحدة صوتية معينة ) على مختلف الظروف الكلامية .

ولنأخذ مثال النون العربيّة وهي على أنواع :  
1) نون ثوبية مجهرة وتوجد في جميع الحالات سوى ما يأتي .

2) نون رخوة انتقائية مجهرة وتوجد قبل الكاف مثل « ان كان » .

3) نون لهوية انتقائية مجهرة وتوجد قبل القاف مثل « ان قال » .

4) نون صلبية انتقائية مجهرة وتوجد قبل الياء والشين والجيم « ان يكن » « ان شاء » « ان جاء » .

5) نون شفوية ثنائية مستديرة انتقائية وتوجد قبل الواو مثل « ان وعد » .

### (3) الساكن والمحرك والحركة :

يقسم علماء اللغة المحدثون الكلمة « كتب » إلى ستة أقسام الكاف والفتحة والباء والفتحة والباء والفتحة . ولكن علماء اللغة العربي يقسمونها أقساماً ثلاثة فقط هي الكاف والباء والباء ثم يضيفون لكل من هذه صفة لاحقة بها هي الفتحة أو بعبارة أخرى فإن العرب يعتبرون أن الكلمة « كتب » تتطلب ثلاث عمليات هي :

1) عملية أداء الكاف والتخلّي عنها اي رفع مؤخرة اللسان الى السقف الرخو وحبس الهواء مع عدم الجهر ثم التخلّي عن هذا الوضع النطقي .

2) عملية أداء الباء والتخلّي عنها وهي تلامس طرف اللسان مع اللثة وحبس الهواء والهمس ثم التخلّي عنها .

3) عملية أداء الباء وهي انتطاق الشفتين وانحباس الهواء والجهير ثم التخلّي عنها .

وجزئية التخلّي في هذه العمليات الثلاثة قد تتخذ إشكالاً متعددة تبعاً لوضع اللسان والشفتين وحركة الاوتار الصوتية فقد تكون جزئية التخلّي هذه هي ما يسمى بتحريك الكاف بالفتحة او بالضمة وقد تكون بالسكون فلا تسلك الاعضاء الصوتية نفس سلوكها

اذا اقتربت الاوتار الصوتية بعضها من بعض اقتربا  
يشبه اقترب الشفتين للنطق بالواو وقد يشتد الاقتراب  
ثم يزول فتنتج ما سماه سيبويه بالمهزة المسهلة . وقد  
يكون الانزلاق بطريقة اخرى وهو احداث دفعه هوائية  
ضخمة تحدثن بواسطتها منطقة الاوتار الصوتية . وبعد  
مرور الدفعه هوائية يزول احتقانها محدثا صوتا شبه  
انجاري وربما كان هذا هو ما يقصد سيبويه بالمهزة  
التي بين بين . وهذه العملية هي التي تسمى بازدواج  
القمة المطعنة (doubling the peak) .

هذا ولم يقسم سيبويه باديء ذي بدء الاصوات  
إلى سواكن (consonants) وحركات (vowels)  
كما فعل المحدثون ولكنه قسم الاصوات  
إلى اقسام متعددة هي النفحة والفتحة والجاء  
والترددة وحروف اللين والمد .. الخ . ثم جعل الحركة  
جزءا من حرف اللين ، اي ان وصفه لحروف اللين  
يتضمن وصفه للحركات ضرورة انها الاخيرة اجزاء من  
الاولى ، وسيبويه هنا صوتى دقيق حيث انه لاحظ ما  
لاحظه المحدثون من ان الفرق بين ما نسميه الواو  
والضمة والياء والكسرة هو مجرد الاستمرار الزمنى  
في الأداء او الطول فلو نطقنا بالكلمة « او » واستمر  
نطقتنا بالواو الساكنة فسيكون هذا الاستمرار هو  
الضمة وبالمثل اذا ما نطقتنا بالياء الساكنة من « اي »  
نان اطالتها تنتهي الكسرة .

واذن فالفرق بين سيبويه والمحدثين هو كالتفرق  
بين شخصين يدعى أحدهما ان الرقم 4 ينتج من تكرار  
العدد 2 مرتين ، ويدعى الآخر انه يتكون من تكرار  
العدد 1 اربع مرات . هو مجرد فرق في الاعتبار لا في  
الموضوع .

### الوصف المادى والوصف الوظيفى :

ويجدر هنا في سياق الحديث عن العزيجيات ان  
ننقل عن سيبويه قوله بأن الحركات في العربية ثنائية  
هي الضم والرفع والفتح والنصب والخفص والجر  
والسكون والوقف وأن هذه الثنائية من حيث الواقع  
اربعة لأن الضم والرفع أمر واحد وكذلك الفتح والنصب  
والخفص والجر والوقف والسكون . ولكن نظرا لإمكان  
تغيير حركة الرفع والنصب والخفص والسكون نتيجة  
لاختلاف موقع الكلمة الاعرابي فقد اعتبر هذه أمورا  
مختلفة عن الضم والفتح والنصب والسكون .

وصحيح ايضا ان هذا يواجه المتعلم بصعوبة بينه  
حيث انه يبدأ تعلم اللغة بتعلم الكتابة بينما ان الكتابة  
تعتمد على النحو والصرف الذي لا يحيط بهما المتعلم عندما  
يبدأ تعلم الكتابة الخطية .

ولكن الامر من وجهة النظر التحليلية ( وهى  
مستوى أعلى من مستوى التأليف التعليمي ) أمر منطقي  
حيث أنه من المسلم به لدى علماء اللغة ان قواعد اللغة  
تعتمد مستوياتها كل على الآخر . وكما تعتمد القواعد  
الصرافية على القواعد الصوتية او النحوية مثلاً فان  
القواعد الكتابية بدورها يمكن دون حرج أن تعتمد على  
مستويات أخرى من قواعد اللغة . ومن هنا أهل الكتاب  
العرب الأوائل كتابة الحركات فيما عدا الطويلة منها ،  
وقد رمزوا إليها بحروف سموها حروف اللين والمد . وفي  
تاريخ متاخر استعملت حروف اللين والمد للرمز لصفات  
الحركة لحروف المددة والزيادة وكانت صغيرة فوتها  
(و ) للضمة (ا ) للفتحة (ى ) للكسرة  
(ه ) للسكون . ولا يزال رسم المصحف يحتفظ بهذه  
الطريقة لتدوين الصفات الحركية أو الحركات .

وفي دراسة اصوات اللغة اتبع سيبويه وتلاميذه  
هذا المنهج فوصفوا الحروف أساسا ولم يصفوا صفاتها  
الحركية الا وصفا ضمئيا حين تحدثوا عن حروف اللين  
والمد . ويقرر سيبويه صراحة ان الفتحة جزء من الالف  
والكسرة جزء من الياء والضمة جزء من الواو فيقول  
( وأما الحركات فهي من الالف والواو والياء .. الخ .

وبناء على هذا يكون كل من الالف والواو والياء  
مكونا من جزئين اللين ( نصف الحركة ) والمد ( طول  
الحركة ) .

وقد يكون جزء اللين ( او نصف الحركة ) شبها  
بالحرف وذلك اذا تبعته حركة او ولی حرفها متحركا مثل  
و ، ئ في الكلمتين ، او ، اي ، وهذا ما يسميه علماء  
الاصوات المحدثون بالانزلاق او نصف الحركة  
Semi vowel اما بالنسبة للجزء اللين من الالف فله  
احتمالان اما ان يكون حركة وذلك اذا كان صفة لحرف  
الفتحة في « ل » واما ان يكون انزلاقا . ونظرا لأن الفتحة  
لا مخرج لها حيث ان جميع اعضاء الصوتية تكون  
متباينة بعضها عن بعض فان الانزلاق لا يمكن ان يحدث

في الاستعمال وتقبل اضافة اجزاء تركيبية اخرى اليها وتكون معها كلمة وبين سواها من المجموعات الصغرى ذات الدلالة فكلمة **possible** تعتبر أساساً الكلمة **impossible** وقد نهج العرب نفس النهج حين اعتبروا الكلمة مسلماً أساساً بنيت عليه الكلمة مسلماً ، غير انهم اضافوا مفهوماً آخر تقتضيه طبيعة اللغة العربية واطلقوا على هذا المفهوم لفظاً ملائمة . والمادة اقل مجموعة من الاصوات تؤدي معنى ولكنها لا تصلح وحدها ان تكون كلمة مستقلة الاستعمال بل ولا يمكن النطق بها دون اندماجها مع مجموعة اخرى ذات معنى تسمى بالوزن .

والمادة والوزن مفهومان خاصان بالعربية وباللغات السامية وهما مفهومان تجريديان وليس كالاساس جزءاً يمكنه الاستقلال بذاته في الاستعمال . والمادة والوزن ليسا مجرد طريقة منهجية لتنفس بناء الكلمة في العربية ولكنها اعتباران يتبين عليهما السلوك الصوتي في تركيب الكلمة . نود ان يلاحظ ما يأتي :

#### (ا) الصوتين في المادة وغير المادة :

قلنا بأن الصرفين يتكون من صوتين . وقلنا بأن كل صوت يتمثل بمجموعة من الانواع يختار واحد منها للاستعمال في ظرف او ظروف معينة لا يشاركه فيها سواه وكل هذا صادر بالنسبة للغة كالانجليزية . اما في العربية فيصدق هذا السلوك في غير صرفين المادة . ولنقارن بين سلوك الصرفين « و » عند وجوده في صرفين غير صرفين المادة وعند وجوده في صرفين المادة .

في غير صرفين المادة نلاحظ ان الواو تلزم صفة واحدة ولا يعتريها غير تأثيرات التجاوز كالتفخيم اذا جاوزت صوتاً مفعماً مثل طور ، والانسية اذا جاورت صوتاً انبينا مثل إن وعد . اما فيما عدا ذلك فانها تحتفظ بصفاتها الأساسية وهي الشفوية الثانية والانطلاق وعدم الاختكاك والجهر ، ولكن الواو في صرفين المادة ذات شأن آخر فقد تكون واوا ساكنة وقد تكون ضمة تصيرية او طويلة وقد تكون فتحة طويلة وقد تكون همزة وقد تكون ياء وقد تسقط نهائياً .

#### (ب) واليكم الأمثلة :

في المادة العربية « ق و ل » الاصل الثاني « او » ومن هذه المادة تتشق الكلمات قال ، يقول ، قائل ، قيل ، قل الخ . ولو أبعادنا من هذه الكلمات حروف الزيادة

وسنبع سببواه هذا يعكس نظرية حديثة تفرق بين الصفات الذاتية لغيرات الوحدة اللغوية وبين الصفات الوظيفية للوحدة ذاتها . وقد وضحتنا هذا الفرق في نرس متعددة بمثال لا نرى بأساً من اعادته هنا .

لو قلنا بأن حارساً واحداً يحرس مبني الكلية ، فإن هذا لا يعني وجود حارس واحد دائماً في كل ساعات النهار والليل ولا تتعارض هذه الدعوى مع وجود ثلاثة من الحراس يتناوبون فيما بينهم الحراسة هم محمد وعلى وابراهيم .

وليس من شك في صحة قولنا بأن في الكلية ثلاثة حراس هم محمد وعلى وابراهيم وصحة قولنا بأن حارساً واحداً يحرس الكلية ، حيث أن حارس بالمعنى الثاني تحديد للوظيفة أما بالمعنى الاول فإنه يعني تحديد شخص ذي صفات بعينها هو احد الثلاثة محمد وعلى وابراهيم .

ومثل هذا التتربيق هو الذي قصدته سببواه فهو يعني بالضم والفتح والخفف والجر والجزم وظائف قد تتحقق بهذا الحركات ( وهو الاعم الاغلب ) وقد تتحقق بأمور اخرى كالرفع بالواو او بالالف او ثبوت النون والنصب بالالف او بالكسرة او حذف النون والجر بالفتحة او بالياء والجزم بحذف النون او بحذف حرف العلة .

ونظرية تقابل الصفات الوظيفية والصفات المادية هي المحور النظري في دراسة علم اللغة الحديث . وقد تطلب نضوج هذه النظرية عشرات من السنين حيث وجدناها فيما كتب دي سوسير في العشرينات ( وربما كانت موجودة من قبله ) ولا تزال محل نقاش نظري حتى يومنا هذا .

#### (ج) المادة والاساس والصيغة :

بعد الانتهاء من حصر الوحدات الصوتية في اللغة يصعد الباحث الى مستوى أعلى من التحليل هو مستوى تركيب الكلمة **morphology** والوحدة الأساسية في هذا المستوى هي الصرف **morpheme** ويعرف بأنه اقل مجموعة من الوحدات الصوتية تؤدي معنى مثل **im** في الكلمة الانجليزية **impossible** ويفرق علماء اللغة المعاصرون بين مجموعة من الاصوات توجد وحدها

(2) يمكن أن يكون الصوتين الثاني والثالث من صوتين مادة متماثلين مثل ر ، د ، د ، ش ، ب ، ب ( ومنها ردة و شب ) .

(3) إذا كان الصوتين الثاني والثالث غير متماثلين فيختتم ان يكونا متباعين المخرج . ولهذا فلا توجد مادة في العربية ثاناتها وثالثتها دالا وتناء او ياء او جيما او سينا وصادا او طاء وناء او تاء وكانا .. الخ . وذلك لتجاوز مخارج هذه الصوتين .

الشيء المهم هنا هو ان نظرية التجاور في هذا المجال ارست متحققة على النحو المألف في غير العربية واخوانها السامييات لأن المادة كما تلنا ليست صورة مفترضة . والتاثير بالجاورة يفترض أن يكون ناتجا عن الحركة العضوية الواقعية التي تمر من موضع النطق بصوت الى موضع النطق بالصوت الذي يليه . وهذا التداخل في الحركة العضوية التي تستمر حتى تشمل الموضعين هو الذي يسبب التاثير بالجاورة . ولما كانت المادة لا تنطق ، امتنع بالضرورة التاثير الناتج عن تداخل الحركة العضوية .

ولا اود ان اتورط في تفسير هذه الظاهرة اللغوية غير العادية . ولكن يمكن ان يفترض ان المادة في العربية كانت في دور سحيق كلمة واقعية يمتنع في نطاقها اجتماع صوت باخر .

ودراسة التغيرات الصوتية في نطاق المادة قد انتج دراسة طويلة قام بها اللغويون العرب بكل دقة وتفصيل . وهذه الدراسة تدخل في باب يعرف بالاعلال والابدال .

### ج) التجاور بالتقابل :

لا يقتصر تاثير الاصوات بعضها ببعض في العربية على الاصوات المتجاورة فعلا او على اصوات المادة بعضها ببعض بل قد يتعداها لتأثير اصوات في صيغة ما بأصوات في صيغة ثانية مع ان الصيغتين لا تجتمعان اجتماعا واقعيا . وقد حصر العرب هذه الحالات حمرا دقينا في باب صيغ الفعل وربطوا امكانities التنويع الصوتي بين الصيغ بالمعنى واللزوم او ببعض المعانى . واليك امثلة توضح ذلك :

(1) الضمة القصيرة التي بعد القاف في « قل » جزء من الوزن حيث أنها نظير الضمة التي بعد الخاء في فعل الامر « ادخل » .

من ياء المضارعة والفتح صيغة « فاعل » وأبعدنا كذلك الأصل الاول وهو القاف والاصل الثالث وهو اللام لوجتنا (1) الاصل الوسيط وهو الواو ييدو مرة فتحة طويلة ومرة اخرى ضمة قصيرة . ومعنى هذا ان الصوتين « و » اذا كان من صوتين مادة فاته يظهر في صورة واحد من هذه الاصوات الخمسة ومثل هذا السلوك قاصر على صوتين مادة ولا يتعداها الى صوتين التي لا تكون اصولا في مادة .

### ب) تجاوز الصوتين :

للصوتين في كل لغة سلوك معين ، فمنها ما يمكن ان يقع في اول الكلمة او وسطها او آخرها . ومنها ما لا يقع بعد النبر او بعد حركة معينة او قبلها . ومثال ذلك الصوتين ن G في الانجليزية وهو لا يوجد الا في آخر الكلمة كما في King .

ومعها ما يجاوز اصواتا معينة ولا يجاوز اخرى . وفي الانجليزية يمكن وجود المجموعة اول الكلمة ولكن لا يمكن وجود المجموعة TS في هذا الموضع وقد تعرض العرب لوضع تجاوز الاصوات غير انهم ميزوا بين تجاوز الاصوات في نطاق المادة وفي غير نطاق المادة . وبالنسبة لاصوات المادة خلصوا الى القول بقواعد ثلاثة :

(1) لا يمكن اجتماع صوتين متماثلين في اول المادة ( اي لا يمكن كونهما ئاء وعينا ) ومن ثم فليس في العربية كلمة ئاؤها وعينها ئاء مثلا ، اما الكلمة اتبع وفيها تجتمع ئاءان ( ئاء المشددة ) فاحداثها صوتين المادة الاولى ( ئاء الكلمة ) ايا الاخرى ( ئاء الزيادة ) ، اي ان اجتماع التاءين يمكن اذا كانت احداثها ئاء زيادة والآخر من مادة الكلمة . كما يمكن اجتماع صوتين متماثلين في اول المادة نتيجة ادغام آخر الكلمة سابقة مع اول الكلمة بعدها كما في قولنا « اسكت توبي لريك » . وبالرغم من ان التاءين صوتين مادة فانهما ليستا من مادة واحدة بل من مادتين مختلفتين هما س ، ك ، ت ، ت ، و ، ب .

(1) الضمة القصيرة التي بعد القاف في « قل » جزء من الوزن حيث أنها نظير الضمة التي بعد الخاء في فعل

- impossible ت تكون من وتعبر عن النفي و possible و تسمى الاولى لاصقة املامية ( او سابقة ) prefix والثانية اساسا .
- 3 - الكلمة ( مسلمون ) تكون من مسلم وهي الاساسى و ( سون ) وهى لاصقة .
- 4 - الكلمة العربية كلب تكون من كلب وهي الاساس ومن الباء الساكنة بعد اللام وهي واسطة ( وضم الكاف منها ) .

ويمكن تطبيق نظرية الواصق التي قال بها الاوروبيون على اللغة العربية في غير نطاق المادة . وقد فعل العرب ذلك في مثل جمع المذكر السالم والمؤنث السالم والتضيير .. الخ ، أما بالنسبة للمادة فلم يقولوا بفكرة السوابق والوسائل والواحق بل قالوا بفكرة الوزن . وهم في هذا على حق فان الاصوات الزائدة على مادة ك ، ت ، ب في الكلمة مكتوب . وهي الميم والفتحة التي بعدها والضمة الطويلة بعد التاء لا تتفصلان في صورة السابقة « م » والواسطة « و » ولكنهما وحدة تركيبية لا يمكن انفصال جزئها .

هذه بعض الاسس النظرية التي بني عليها التكثير اللغوي عند العرب . وهى كما قلت لم تذكر صراحة في مؤلف مستقل او في جزء خاص من مؤلف . ولكن اللغويين العرب قد يشيرون الى بعضها اشارة جانبية في بعض مناقشاتهم ، التي قد تتعرض لافتراض شبيه بما تعرف اليوم من نظريات لغوية وفي يقيني ان الاتجاه الى البحث عن الاسس النظرية للدراسة اللغوية العربية سيفتح امامنا مجالاً خصباً جديداً لا يستطيع ان يلجه من لم يتمكن من فهم التراث اللغوى المعربي نهماً مستنيراً .

- 1 - فعل ومضارعه يفعل مثل ضربه يضربه
- 2 - فعل ومضارعه يفعل مثل اخذه ياخذه
- 3 - فعل ومضارعه يفعل مثل سمعه يسمعه وقد ارتبط تعدد الفعل هنا بحركة العين في كل من الماضي والمضارع او بعبارة أخرى فإنه يمكن ان يقول بأن كسر عين المضارع يحدث اذا نفتحت عين الماضي وكان الفعل متعدياً .

وهذا نوع جديد من التجاوز ، اذا صع هذا التعبير وهو اعتماد نوع الحركة في كلمة اخرى لتجاوزها مجاورة واقعية استعمالية بل ترتبط بها بمجرد الاشتراك في المادة . اذكر هذا على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر لتوضيح هذه الظاهرة اللغوية الفريدة . ولن شاء الاستزادة ان يرجع الى كتاب سيبويه مثلاً ليجد التفصيات والتفرعات التي تشهد بنضوج منهجي نادر .

#### د) الواصق والوزن :

سبق ان ذكرنا ان بعض الكلمات يمكن ان تكون اساساً لتوليد كلمات اخرى وذلك باضافة صرفيات ذات معنى ما الى الاساس . وقد تكون الصرفيات المضافة بدورها كلمات تصلح اساساً ويمكن استعمالها مستقلة وقد لا تكون . وهذا النوع الاخير هو ما يسمى باللامقة Affix وبالبك هذه الابنلة :

- 1 - الكلمة الانجليزية black bird ( اسم طائر ) تكون من black و bird وكل منها تصلح أن تستعمل كلمة مستقلة . وهنا يتغير اختيار واحد من الجزأين ليكون اساساً .